

دراسة

شعر الحدائث

إبداع شعري
أم عبث
باللغة العربية

إحياء
Ihyaee



حسن بوجعادة

28 أكتوبر 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019

مواضيع الدراسة

مقدمة تمهيدية

المبحث الأول: الأصول الفكرية والمذاهب الأدبية لشعراء الحداثة

1 - السريالية

2 - الباطنية

3 - الصوفية الفلسفية

4 - الرمزية

5 - العدمية

6 - الوجودية

المبحث الثاني: عناصر الصورة الشعرية في شعر الحداثة

1 - الانزياح

2 - الرمز

3 - الأسطورة

المبحث الثالث: ظاهرة الغموض في شعر الحداثة

1 - الغموض هي السمة الغالبة في شعر الحداثة

2 - ما الهدف من الغموض في شعر الحداثة؟

المبحث الرابع: من الحكمة إلى العبث

خلاصة

مقترحات

مقدمة تمهيدية :

يدل مفهوم الحداثة في ظاهره على مجموعة من القواعد والإجراءات التي ينبغي اتباعها قصد الابتكار والإبداع، والحداثة بهذا المفهوم تعد مظهرا من مظاهر الأمم الراقية وعنصرا لمواكبة المستجدات التي تطرأ على المجتمع، لكن الحداثة لم تكن سوى غطاء لطمس الهوية الإسلامية والعربية وإقامة قطيعة مع التراث.

وفي مقال نشرته مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة وصفت الحداثة بأنها: " دعوة استكبارية معادية للإسلام، ظاهرها جميل براق وحقيقتها سم زعاف، تعد رد فعل عنيف على الإسلام، ومعنى ذلك (تهجين الإسلام ومسخه) أو قصره على الأمور الشكلية وتفريغها من محتواها¹.

ولم تقتصر هذه الدعوة الزائفة على النصوص الدينية بل تعدتها إلى المجال الأدبي وخاصة الشعر، وغايتها من ذلك إفساد الذوق العربي وتحويل اللغة العربية إلى مجرد رموز وطلاسم، ويظهر ذلك جليا من خلال أسس الحداثة ورؤيتها التي وصفها وبينها " باروت " في هذين العنصرين: - تشويش الوعي ضمن المنظور الصوفي لعالم الداخل ، والذي هو بالدرجة الأولى منظور كشفي، فالشعر لديه هو ما تلتقطه " عدسة الغيبوبة" لاكتشافها واستقصائها لـ" ساحة ما وراء الطبيعة" الربط بين مفهوم " الرؤيا" الشعرية " اللاشعورية" إلى الحد الذي يترادفان فيه، ويصبح فيهما

¹ - مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة - (ج: 7 : 1892)

الشعر حاله ممن " السكر " والإشراق تعطي الأولوية للبحث الميتافيزيقي عن المطلق.²

من خلال هذين العنصرين يلاحظ أن الحداثة في تعابيرها ولغتها تتجاوز حدود العقل وتمثل خروجاً عن اللغة والعقيدة والأخلاق لتصبح فيما بعد عبارة عن رموز وإشارات غامضة.

يقول الدكتور عزالدين إسماعيل " : اللغة هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، هي أول شيء يصادفنا ، هي النافذة التي من خلالها نتوسع ، هي المفتاح الصغير الذي يفتح كل الأبواب.³ وهذا التعريف يجلي حقيقة اللغة ويبرز دورها في كل عمل أدبي لتكون بذلك الأداة التي يستطيع بواسطتها الشاعر أن يثبت موهبته.

ولقد كانت اللغة عبر العصور التي مرّ بها الشعر العربي، هي المعيار للمتميز بين جيد الشعر ورديئه، بحيث عمل الشعراء على إبراز مواهبهم في القصائد التي نظموها من خلال توظيفهم لخصائص اللغة العربية ، لكن شعراء الحداثة قد غيروا شكل القصيدة العربية وأتوا بأساليب جديدة وعبارات غريبة ركيكة وكلمات عائمة.

فهل أدى ذلك إلى تحبيب الشعر إلى النفوس، أم أنهم أقاموا حجاباً بين الشعر والقراء؟

² - سعيد بن ناصر الغامدي - الانحراف العقدي في أدب الحداثة - وفكرها - دراسة

نقدية شرعية - (ج : 1 / ص : 1614 - 1615)

³ - عز الدين إسماعيل - الشعر العربي المعاصر - قضاياها وظواهره الفنية - ص: 173

وهذا السؤال يضعنا أمام خاصية ميزت الشعر عند رواد الحداثة وهي الغموض، فأفسدوا الذوق الجمالي وشحنوها بالألفاظ الركيكة والعبارات التي تمجها الآذان، وبعد أن كان الشعر العربي حكما بليغة وأساليب راقية صار مجرد كلمات وألفاظ ليس بينها أي روابط. ولعل الحالة التي آل إليها الشعر العربي كان سببها تأثر هؤلاء الشعراء بالثقافة الغربية فجعلوا من فلسفاتها ومدارسها الفكرية والأدبية مرجعا في تكوين ثقافتهم فانعكس ذلك على شعرهم شكلا ومضمونا.

المبحث الأول - الأصول الفكرية والمذاهب الأدبية لشعراء الحداثة :

إذا كان الشعر المعاصر يمثل تحررا من الخصائص التي كانت تميز عمود الشعر العربي كنظام الشطرين ووحدة القافية وتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، فإن ذلك قد فتح أمام الشاعر المعاصر أفقا رحبة للتعبير عن مشاعره وأفكاره بحرية، بل إنه - أي الشاعر المعاصر- أخذ مفهوم الحرية على إطلاقه فانفتح على الثقافات الأخرى والمذاهب الأدبية في الغرب، فجعل من هذه الأخيرة، على اختلاف أهدافها وتنوع أفكارها، مرجعا فكريا لقصيدته.

1 - السريالية :

السريالية مذهب فني فكري أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعا وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبواته وتسجيله في الأدب والفن⁴. من خلال هذا التعريف يبدو أن هذا الاتجاه يتحرر من كل الضوابط والقواعد التي تحكم حياة الإنسان ويعطي للفرد كامل الحرية في أن يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء دون قيد أو شرط.

وقد تأثرت السريالية بكل الأفكار والمذاهب الداعية إلى الحرية، كأفكار فرويد " التي دعت إلى تحرير الغرائز الإنسانية والرغبات المكبوتة، والأفكار الشيوعية التي دعت إلى تغيير المجتمع باستخدام العنف، كما تأثرت بالدادية، وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم وتدعو إلى العودة إلى البداية⁵

2 - الباطنية :

قال ابن الجوزي : "الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرّة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم"⁶.

⁴ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي (مع شيء من التهذيب والتصريف المفيد) (87 / 305)

⁵ - نفس المرجع (87 / 804)

⁶ - ابن الجوزي - تلبيس إبليس - الطبعة الأولى 1421 / 2001 ص : 91

قال الشوكاني: " فإن مذهبهم الذي يتطهرون به ويبدونه للناس هو التشيع ولا يزال شياطينهم ينقلون من دخل معهم من مرتبة إلى مرتبة حتى يقفوه على باب الكفر وصراح الزندقة" ⁷.

والباطنية تضم عددا من الفرق ، منهم القرامطة، الإسماعيلية، النصيرية... وهذه الفرق حسبما ذكر ابن تيمية لها تأويلات باطنية تخالف ما يعرفه المسلمون كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت فيقولون : إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم وإن صيام رمضان كتمان أسرارهم وإن حج البيت السفر إلى شيوخهم... ونحو ذلك من التأويلات والتحريفات التي تعد تحريفا لشرع الله وافتراء على الرسل والأنبياء، كما يقولون بأن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة" ⁸.

وقد تأثر الشعراء المعاصرون بالمذهب الباطني حتى بدا ذلك واضحا في أشعارهم، وهذا أدونيس يحمل لواء هذا المذهب يقول في كتابه الثابت والمتحول: " ولئن كانت النبوة المحمدية خاتمة النبوات، فإنها خاتمة الظاهرة، ذلك أن لها ما يتممها في الباطن وهو الإمامة أو الولاية، فالولاية بهذا المعنى، هي باطن النبوة، والنبوة بتعبير آخر هي الشريعة، أما الولاية فهي الحقيقة، وهكذا يكون الإمام ينبوع المعرفة الكافية فيما وراء النص" إلى أن قال: " فالفرق بين الدين في المنظور الفقهي الظاهري، والدين في

⁷ - محمد بن عبد الله الشوكاني - أدب الطلب ومنتهى الأدب ص : 97

⁸ - ابن تيمية - الفتاوى الكبرى - (3 / 30)

المنظور الباطني الأمامي كالفرق بين الماء المتموج على سطح البحر وحركة الماء المتفجرة في أغواره"⁹.

وهذا الاتجاه الباطني هو الذي جعل أدونيس يتلاعب باللغة العربية بشكل جعلها مجرد كلمات ورموز كي يعبث بالعقول، يقول الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي: "وبهذا المعنى الباطني الذي هو من أسس الفكر والعقيدة الباطنية يصل أدونيس إلى مراده في إسقاط اللغة العربية والتلاعب بالحياة كلها والعبث بالعقول من خلال العبث باللغة، فإن إسقاط دلالات الألفاظ لا يساوي غير الجنون والدمار"¹⁰.

يقول عبد الوهاب البياتي " ويخيل لي أن رفض تراث الشعر العربي قديمه وحديثه تكمن وراءه دعوى شعبية يتبناها أدونيس في السر والعلن ويمكن تفسير سلوك أدونيس هذا بالباطنية الشعبية "¹¹.

وقد تأثر الشعراء المعاصرون بمذهب الباطنية وإن كانوا لا ينتمون إلى أصول شيعية، ويظهر ذلك من خلال الرموز والإشارات التي وظفوها في أشعارهم، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: نزار قباني، محمود درويش، عبد العزيز المقالح، ممدوح عدوان، عبد الوهاب البياتي¹².

⁹ - أدونيس - الثابت والمتحول : بحث في الإبداع والاتباع عند العرب (2 / 91 - 92)

¹⁰ - الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - ص : 943

¹¹ - الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - ص : 948 نقلا عن كتاب أدونيس

منتحلا - ص : 171

¹² - نفس المرجع - ص : 953

3 - الصوفية الفلسفية :

التصوف هو علم يهدف إلى معرفة الله عز وجل وإخلاص العبادة له مع الالتزام بإتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك عملا بقول الله تعالى : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا" (الكهف: 105)

ويقوم التصوف على خمس أصول:

- 1 - تقوى الله في السر والعلن.
- 2 - اتباع السنة في الأقوال والأفعال.
- 3- الإعراض عن الخلق.
- 4 - الرضا بما قسم الله تعالى¹³.
- 5 - الرجوع إلى الله في السر والعلن.

ويبدو أن التصوف وفقا لهذه الضوابط يمثل الحقائق والغايات التي قامت عليها الشريعة الإسلامية، أليس الهدف هو عبادة الله وحده لا شريك له واتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتربية النفس على التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها؟

فالتصوف وفقا لهذا التصور هو الزهد في الدنيا وترك ملذاتها ومخالفة الهوى، لكن المبتدعة منهم والغلاة قد أدخلوا إلى التصوف من المصطلحات والخرافات ما جعل التصوف مخالفا لأحكام الشريعة وقرينا بالفلسفة، فظهر ما يسمى بالصوفية الفلسفية.

¹³ - محمد يوسف الشوبكي - مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي - ص : 6

والفكرة التي تبناها هؤلاء الغلاة هي القول بوحدة الوجود، وهذه الفكرة ستصبح فيما بعد مرجعا فكريا لدى الشعراء المعاصرين، وقد عبر عن ذلك عز الدين إسماعيل بقوله: " لغة الشعر المعاصر إذن لغة تنسجم في الوجود وتتحد معه"¹⁴.

وهذه اللغة بالنسبة له لغة جديدة وبكر تجتمع فيها كل أبعاد التجربة الصوفية الواقعية إذا صح التعبير¹⁵.

بل إنه يعتبر أن الصوفي والشاعر كلاهما يتأمل، كلاهما يستكشف وربما استطاع الصوفي أن يعبر عن رؤيته أحيانا¹⁶.

أما صلاح عبد الصبور فشبه الشاعر قبل كتابه القصيدة بالصوفي لأنه - أي الشاعر - لابد أن يمر من ثلاث مراحل ، يقول " والشاعر الموفق هو الذي يستطيع أن يتقدم خطوات نحو هذا المنبع حتى يتصل به فينفضل عن ذاته أو تنفصل الذات عن نفسها"¹⁷.

وأدونيس يعتبر التصوف العربي هو مصدر الشعر العربي المعاصر، ويذهب أدونيس إلى أبعد من ذلك بحيث يرفع نصوص التصوف إلى مستوى الشعر، كما يعتبرها مصدرا تراثيا للشعر العربي المعاصر، حيث يقول: " التصوف حدس شعري ومعظم نصوصه شعرية صافية ، ولهذا فإن القيم التي

¹⁴ - الشعر العربي المعاصر - ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية - ص : 184

¹⁵ - نفس المرجع - ص : 184

¹⁶ - عز الدين إسماعيل - نفس المرجع - ص : 197

¹⁷ - صلاح عبد الصبور - حياتي في الشعر - المجلد الثالث - ص : 167

يضيفها الشعر العربي الجديد أو يحاول أن يضيفها إنما يستمدّها من التراث الصوفي العربي بالدرجة الأولى¹⁸.

وأدونيس يتبنى رأي الغلاة من الصوفية كابن عربي وابن الفارض والحلاج حينما يقرر مبدأ وحدة الوجود، حيث يقول: "التصوف ذوب ثبات الألوهية، جعله حركة في النفس في أغوارها"¹⁹.

ويذكر جبرا إبراهيم جبرا أن أدونيس قد تأثر بمحمد بن عبد الجبار النفري وهو من متصوفة القرن العاشر الميلادي في العراق، وقد كان النفري يزعم أن الوحي والإلهام من لدن الله وأن الوقفة عنده تعني وضع الصوفي في خطاب مباشر مع الذات العلوية²⁰.

والنزعة الصوفية لدى أدونيس وجل الشعراء المعاصرين جعلتهم يصابون بما يسمى " بتضخم الأنا" حتى صاروا يرون أنفسهم في مرتبة الألوهية يتحكمون في نظام الكون ويفعلون ما يشاءون ، يقول نزار قباني:

لم أكن يوماً ملكاً

ولم أنحدر من سلالات الملوك

غير أن الإحساس بأنك لي

يعطيني الشعور بأنني أبسط سلطتي على القارات الخمس

وأسيطر على نزوات المطر، وعربات الريح

¹⁸ - أدونيس - مقدمة للشعر العربي - ص : 135

¹⁹ - نفس المرجع - ص : 135

²⁰ - من كتاب النار والجوهر - دراسات في الشعر - ص : 79

وامتلك آلاف الفدادين فوق الشمس²¹

4 - الرمزية :

الرمزية: " هي مذهب أدبي فلسفي ملحد يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح"²². فالرمزية تتجاوز حدود اللغة ، فيتم وفق هذا المذهب اللجوء إلى الإشارات والإيحاءات للتعبير عن بعض المجالات التي لا يمكن للمفردات والألفاظ المألوفة أن تعبر عنها. يقول عزالدين إسماعيل: "الرمزية كانت رد فعل ارستقراطي لانتشار الأفكار الديمقراطية فلم يكن الرمزيون يتحدثون إلى وطن أو إلى جيل ولكن إلى أنفسهم"²³.

وتتلخص مبادئ الرمزية في ما يلي:

- 1 - إن مذهب الرمزية هو ناتج عن الفراغ العقدي وتمزق الإنسان الأوروبي بسبب طغيان النزعة المادية، وهذا ما حدا بأصحاب هذا الاتجاه إلى الجنوح إلى الخيال ورفض القيم.
- 2 - الرمز عند أصحاب هذا الاتجاه يعتبر ضروريا للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وهو ما يدفعهم إلى استعمال التعبيرات الغامضة والألفاظ المعقدة وهذا يعطي للقارئ حرية أوسع في تأويل نصوصهم.

²¹ - من ديوان مائة رسالة في الحب - ص : 5

²² - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - ص : 266

²³ - الأدب وفنونه - دراسة نقدية - ص : 32

- يهدف الرمزيون كذلك إلى خلق أنماط جديدة من التعبير في الشعر شكلا ومضمونا تجعل الشعر ينتقل من خلالها من عالم محسوس إلى عالم من الرؤى والأحلام غير محدود.²⁴

وقد صار الرمز أحد ظواهر الشعر العربي المعاصر فعمد الشعراء المعاصرون إلى توظيف الرمز بأساليب مختلفة إلا أنهم تعرضوا لانتقادات لاذعة وخاصة من الذين ناهضوا الشعر الحر، فعلي الطنطاوي يعتبر الرمزيين ممن لا يمتلك أدوات البيان والفصاحة، حيث يقول فيما كتبه بعنوان " أنا والإذاعة:" من عجز أن يفكر كما يفكر أبناء آدم عليه السلام ويتكلم كما يتكلمون ففكر تفكير غير لآدمي وتكلم كلاما ليس بإنساني فهو شاعر رمزي وإن في الرمزية متسعا لجميع الأغبياء والأدعياء إذا شك القراء أنهم لا يفهمون هذا الأدب الرمزي ، فالقراء جاهلون رجعيون جامدون"²⁵.

ويعتبر بدر شاكر السياب من أكثر الشعراء المعاصرين استعمالا للرمز حتى صارت قصائد نماذج في توظيف الرمز كقصيدة " حفار القبور" وقصيدة " المومس العمياء" وقصيدة" يأجوج ومأجوج"²⁶

²⁴ - من كتاب الخطاب الشعري والموقف النقدي في كتابات الشعراء المعاصرين - أدونيس ونزار قباني نموذجاً - إعداد حبيب بوهورور : أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث - ص : 193

²⁵ - مقالات موقع الألوكة : <http://www.alukah.net> ص: 9

²⁶ - إحسان عباس - اتجاهات الشعر العربي المعاصر - ص : 168

5- العدمية :

العدمية: " مذهب أدبي فلسفي ملحد اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود بل هو نهاية الوجود وبه تعرف حقيقة الحياة بعيدا عن النظرة المثالية والنظرة الواقعية السطحية" ²⁷.

وهذا المذهب ينكر وجود الله عز وجل مستندا في ذلك إلى مقولة تبناها الفيلسوف الألماني " نيتشه " الذي قال: " لو كان هناك إله فكيف كنت أطيق أن لا أكون إلهاً " وبالتالي فهو ينسف كل ماله صلة بالدين والأخلاق ويتخطى كل حدود هذا العالم ليبحث عن عالم جديد وينشئ قيما جديد. وهذه قاعدة أصلها أدونيس وتحمس لها، بل عمل على بلورتها وتجسيدها في أشعاره حتى أنه يقول في كتابه الثابت والمتحول :

"كل نقد جذري للدين والفلسفة والأخلاق يتضمن العدمية ويؤدي إليها [يعني عدم وجود الله] وهذا ما عبر عنه نيتشه بعبارة " موت الله" ²⁸.

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

6 - الوجودية :

الوجودية: " اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفردته وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار لا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع" ²⁹.

²⁷ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - ص : 280

²⁸ - الثابت والمتحول - (3 / 178 - 179)

ووفقا لهذا المذهب فإن الإنسان يمثل الوجود المطلق، فهو أقدم شيء في هذا الوجود وما قبله كان عدما ووجوده سابق لماهيته، وبالتالي فالوجودية لا تقر بالأديان ولا بالأمور الغيبية ، بل الدين عندها هو عائق أمام الإنسان، وممن تبني هذا الاتجاه ودافع عنه الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر صاحب كتاب " الوجود والعدم".

وعنه يقول أنور الجندي: " ولا ريب أن موقف سارتر أشد عنفا وخطرا مما يقول به الملحدون أو المشركون فهو يضع الذات الإلهية في مقام التزام مع الإنسان وأن وجود أحدهم يلغي وجود الآخر" ³⁰.

ويبدو أن ضياع الإيمان وعدم انقياد الإنسان لشرع الله عز وجل جعله ينساق وراء هذه الأفكار ويتبنى هذا المذهب، يقول عز الدين إسماعيل: " فالوجودية أكثر من فكرة عقلية، إنها فلسفة ولدت نتيجة للقلق في عصرنا والفراغ الذي يرجع إلى ضياع عقائدنا وتبعثرها" ³¹.

وهي نفس الفكرة التي تبناها أنور الجندي في تحليله لفلسفة سارتر حيث يقول: " ولاريب أن فلسفة سارتر الوجودية الملحدة هي بديل الإيمان الذي عجز الغرب عن الحصول عليه عجزا مطلقا" ³².

ومذهب الوجود سرعان ما انتقل إلى الاتجاه الأدبي على يد أدباء فرنسيين كأمثال سيمون ذي بوفوار، عشيقه سارتر، أما في الأدب العربي المعاصر

²⁹ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - ص : 221

³⁰ - من كتاب على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم - ص : 11

³¹ - الأدب وفنونه - دراسة نقدية - ص : 36

³² - أنور الجندي - نفس المرجع - ص : 8

وخاصة لدى شعراء الحداثة تجد أن الوجودية هي أحد شروط الإبداع الأدبي، وتظهر ملامح الوجودية أكثر في أشعار أدونيس.

المبحث الثاني - عناصر الصورة الشعرية في شعر الحداثة:

بالنظر إلى عمود الشعر العربي يلاحظ أن الشاعر كان يعتمد على ثلاث عناصر لتكوين الصورة الشعرية: العالم الخارجي الذي يحيط به، الخيال ويكمن في الصور التي يختزنها الشاعر في ذاكرته، والعنصر الثالث هو اللغة وهي عبارة عن الألفاظ والتعبير التي يستخدمها دون أن يخرج عن العالم الذي يحيط به، لكن الشاعر المعاصر جدد رؤيته لهذا العالم فتخطى حدوده فرأى أن اللغة أضيق من أن تعبر عن هذا العالم الجديد فابتكر لغة جديدة بأساليب وأدوات جديدة تتمثل في الانزياح والرمز والأسطورة.

1 - الإنزياح :

من الصور البلاغية والتعبير البيانية التي ألفها الشاعر في القصيدة العمودية التشبيه، الاستعارة والكناية، لتأمل هذه الأمثلة:
يقول الشاعر:

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء يفور

ويقول آخر:

نسي الطين ساعة أنه طيب من حقير فصال تيتها وعربد

وقال آخر:

فمساهم وبسطهم حريـــــــــر وصبحهم وبسطهم تــــــــراب

ففي المثال الأول استعمل الشاعر أسلوب التشبيه حيث شبه الأرض بالياقوتة والجو باللؤلؤ، وأوجه الشبه بين المشبه والمشبه به تكمن في الصفا والبهاء وهو ما يجعل التشبيه مقبولا.

وفي المثال الثاني استعمل الاستعارة، وهي، كما هو معلوم، حذف أحد طرفي التشبيه: المشبه أو المشبه به.

وفي هذا المثال شبه الشاعر الطين بالإنسان غير أنه حذف المشبه به وكنى بأحد لوازمه وهو النسيان.

أما في المثال الثالث فاستعمل أسلوب الكناية، فكّنى بالحرير عن العزة والغنى، وكّنى بالتراب عن الذل والمهانة.

وفي هذه الأمثلة نجد أن الشاعر قد وفق في تكوين الصورة الشعرية وجعل الألفاظ دالة على المعنى المراد إيصاله.

غير أن الشاعر المعاصر قد أحدث تعابير غير مألوفة وصورا تتخطى حدود اللغة حتى تكاد تكون في بعض الأحيان حاجزا بينها وبين فهم المراد وهو ما يسمى بالانزياح، ولفهم هذه الظاهرة نورد الأمثلة التالية:

يقول محمود درويش:

حلم مالح

وصوت يحفر الخصر في الحجر³³

³³ - الأعمال الكاملة - (2 / 398)

نلاحظ أن هناك تنافرا بين كلمتي " حلم " " مالح " فالحلم هو ما يراه النائم في المنام من الخيالات والملح هو المادة التي تستعمل في الطعام. فالشاعر خرج عن التعبير المألوف حين أسند صفة الملح التي تتعلق بشيء مادي لشيء مجرد غير محسوس وهو الحلم، كما جعل الصوت يحفر الخصر في الحجر.

ولفهم الصورة أكثر نورد هذا المثال أيضا:

يقول محمود درويش:

قمر جارح

وصمت

يكسر الريح والمطر

يجعل الفهم إبره³⁴

استعمل الشاعر الكلمات في هذه القصيدة استعمالا غريبا خرج به عن الاستعمال المعهود الذي يؤدي المعنى المطلوب، فقد جعل القمر جارحا، وجعل الصمت يكسر الريح والمطر، وهو عمل إنساني إذ لا يمكن للريح أن يكسر، كما جعل ما يكسر هو الريح والمطر.

2 - الرمز :

الرمز كما عرفه صاحب المنهاج الواضح للبلاغة هو أن تشير إلى قريب منك خفية بنحو شفة أو حاجب، قال الشاعر:

³⁴ - الأعمال الكاملة - (2 / 398)

رمزت إلي مخافة من بعلمها من غير أن تبدي هناك كلامها³⁵

فالرمز هو الإشارة والإيماء، غير أن الرمز لا يدل على معنى ثابت وإنما يؤول حسب سياق الكلام الذي ورد فيه، وتنوع دلالات الرمز يرجع إلى تنوع وتعدد الحقول التي يستمد منها الرمز، قد يستمد الرمز من الأسطورة، حيث يتم توظيف أساطير وتحويلها إلى رمز للدلالة على حالة معينة. كما يمكن للشاعر أن يدخل في قصيدته شخصيات تاريخية معروفة كرموز تحمل دلالات متعددة. إلى جانب ذلك نجد الرمز الديني والرمز اللغوي ولعل الهدف الذي يرمي إليه الشاعر من توظيفه للرموز هو تخطي حدود التعبير المألوف وتغيير رؤيته الشعرية.

ويعتبر الشاعر بدر شاكر السياب من أكثر الشعراء المعاصرين تحمسا للرمز، حيث يوظف في قصائده الرموز بدلالات مختلفة، وقصيدته التي تحمل عنوان "مرحى غيلان" خير نموذج لتلك القصائد، حيث يقول فيها:

فتحت نوافذ من رؤاك على مهادي، كل واد
وهبته عشتار الأزاهر والثمار كأنا روحــــــــي
في تربية الظلماء حبة حنطة وصداء
أعلنــــــــت بعثــــــــي يا سمــــــــاء
هذا خلودي في الحياة تكن معناه الدمــــــــاء
(بابا) كأن يــــــــد المــــــــسيــــــــح
فيها، كأن جماجم الموتى تبرعم في الضريــــــــح

³⁵ - المنهاج الواضح في البلاغة - (3 / 338)

تموز عاد بكل سنبله تعابث كل ريج
تموز عاد بكل سنبله تعابث كل ريج (بابا، بابا)
أنا في قرار بويب أرقد في فراش من رماله
أنا بعل: أخطر في الجليل
وإلى أن يقول:

يا سلم الأنغام أية رغبة هي في قـرارك؟
(سيزيف) يرفعها فتسقط للخصيص مع انهيارك³⁶

يلاحظ أن الشاعر يستخدم الرمز الأسطوري في كلمة "عشتار"
وهو رمز لآلهة الخصب والنماء والجمال عند الأمم القديمة، وكلمة "بعل"
وهو رمز لإله الشمس عند الفينيقيين، وكلمة "سيزيف" كرمز للإنسان
المعذب الذي لا ينتهي عذابه.

كما استخدم الكلمات التالية: الدماء، بيرعم، أرقد كرموز لغوية.
أما الرموز الخاصة بالأمكنة تتمثل في كلمة "بويب" وهو نهر بقرية الشاعر
وكلمة "جيكور" اسم للقرية التي ولد فيها الشاعر، وكلمة الجليل وهي
مدينة فلسطينية تحتلها إسرائيل.

3 - الأسطورة :

لقد كان للنكسة التي تعرضت لها الجيوش العربية عام 1948م تأثير على
شخصية الشاعر العربي وفكره ورؤيته فأصبح يعيش مشرد الأفكار مشتت
الذهن، متمردا على واقعه ولغته ودينه، وصار يبحث عن واقع جديد بلغة

³⁶ - ديوان بدر شاكر السياب - ص : 179

جديدة، فوجد ضالته في الأساطير المستمدة من الحضارات القديمة، كأنما يريد أن يستبدل واقعه الذي عجز عن مواجهته والتصدي له بعالم خرافي، يقول إحسان عباس: " واستغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث من أجراً للمواقف الثورية فيه، وأبعدها آثاراً حتى اليوم لأن ذلك استعادة للرموز الوثنية واستخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر" ³⁷.

وينطبق هذا القول بالدرجة الأولى على الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذي لازمه الفشل طيلة حياته، فبعد أن ذاق طعم اليتيم يفشل في تجاربه العاطفية التي مر بها، وينفصل عن الحزب الشيوعي ثم يصاب في الأخير بمرض أودى بحياته. ³⁸

لذلك فهو يستخدم الأسطورة التي تحمل دلالة معينة وفق طبيعة المحنة التي يعيشها فمن الأساطير التي استعملها أسطورة تموز (أو أدونيس) وهي رموز تجدها في الحضارة الإغريقية والرومانية والفنيقية والفرعونية حيث كانت الأسطورة جزءاً لا يتجزأ من معتقدات هذه الحضارات. وإذا كان السياب يستخدم الأسطورة للتعبير عن معاناته وفشله إلا أن أدونيس عندما يلجأ إلى الأسطورة فإنما يريد أن يتمرد على الواقع ويحدث تغييراً في نظامه، فكأنما الأسطورة عنده رمز للقوة والتمرد، يقول في قصيدته التي تحمل عنوان، أوديس :

³⁷ - اتجاهات الشعر العربي - ص : 165

³⁸ - إحسان عباس - بدر شاكر السياب - ص : 245

(من أنت ، من أي الذرى أتيت
بلغة عذراء لا يعرفها ساواك
ما اسمك- اي راية حملت أورميت؟
تسأل ، الكينوس؟
تريد أن تكشف وجه المييت
تسأل من أي الذرى أتيت
تسأل باسمي -اسمي أنا أوديس
أجبيء من أرض بلا حدود
محمولة فوق ظهور الناس
ضعت هنا وضعت مع قصائدي هناك
وها أنا في الرعب واليباس
أجهل أن أبقى وأن أعود)³⁹

ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يبدي تعاطفا مع الأسطورة التي ترمز
للإضطهاد والقهر: " سيزيف" ويعلن أنه يخلصها من عذابها.
في قصيدة أخرى يعطي أدونيس صورة أخرى للأسطورة حين يجعل من "
مهيار" بطلا فوق العادة عندما يتحدى الموت.
ففي مسرحية شعرية يقدم تيمور على قتل مهيار وتقطيع جسده ، ويدق
مسامير من نار في رأسه إلا أن مهيارا يحيى من جديد:

³⁹ - من ديوا أغاني مهيار الدمشقي - ص : 211

(تيمور: ألم تكن في السجن، كيف جئت؟
انسلت من شوقه؟ هدمته؟ أخرجك السجن؟
مهيار: أخرجني سلطان
كالشمس لا يموت،
كالإنسان)⁴⁰

يقطع رأسه مرة أخرى، يقطع جسده إلى أجزاء، ترمى في جب الأسود ، لا
تأكلها بل تنحني وتبتعد عنها.

المبحث الثالث - ظاهرة الغموض في شعر الحدائث:

1 - الغموض هي السمة الغالبة في شعر الحدائث:

إن أهم خاصية تميز اللغة العربية أنها لغة البيان والوضوح، والصور البلاغية التي يستخدمها الشعراء والأدباء في شعرهم ونثرهم يكون الهدف منها الكشف عن المعاني وتقريبها إلى الأذهان، وبالتالي فإن اللغة العربية ظلت على مر العصور خالية من التعقيدات اللفظية والتعابير الغامضة، فقد اصطفاها الله عز وجل وجعلها لغة القرآن حيث يقول سبحانه وتعالى مبينا ميزة هذه اللغة " : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"(الشعراء - 192 - 193 - 194 - 195 - 195).

⁴⁰ - من ديوان المسرح والمرايا - ص : 361- 362

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (بلسان عربي مبين) أي : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك [أنزلناه] بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا، قاطعا للعدز، مقيما للحجة، دليلا إلى المحجة⁴¹.
والشاعر اللبيب عند العرب هو الذي يستطيع - وفق مؤهلاته اللغوية وبراعة في الصياغة - أن يعبر عن المعاني باللفظ الدقيق والأسلوب الممتع حتى تجده في أغلب الأحيان لا ينطق إلا بالحكمة.
لنعرض بعض نماذج الشعر العربي التي عمل أصحابها على صياغتها في قوالب شعرية رائعة، بأساليب يستطيع بواسطتها القارئ أن يدرك مراد الشاعر:

النموذج الأول: هي عبارة عن أبيات شعرية من قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم، يقول فيها:

لاح منها حاجب للناظرين

فنسوا بالليل وضاح الجبين

ومحت آيتها آيته

وتبدت فتنة للعالمين

نظر أبراهام فيها نظرة

فأرى الشك وما ضل اليقين

قال: ذا ربي، فلما أفلت

(قال: إني لا أحب الأفلين)

ودعا القوم إلى خالقها

⁴¹ - تفسير ابن كثير - (ج: 6 / ص: 162)

وأتى القوم بسُلطان مبین⁴²

النموذج الثاني: وهي قصيدة للشاعر المتنبي ، نعرض بعضاً من أبياتها:

أرى لى بقربي منك عينا قريرة
وإن كان قربا بالبعد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا
ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم
وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة
ضعيف هوى يبغى عليه ثواب⁴³

وأغلب قصائد الشعر العمودي ، قديمه وحديثه، تصلح أن تكون نموذجا يحتذى به لمعرفة ما يمتاز به الشعر العربي من الفصاحة والبيان وبراعة التعبير.

⁴² - ديوان حافظ إبراهيم - ضبطه وصححه وشرحه ورتبه : أحمد أمين - أحمد الزين -

إبراهيم الأبياري - ص : 307

⁴³ - كتاب مع المتنبي لطفه احسين - الطبعة الثانية عشر - ص : 308

لكن رواد الشعر الحر قد خالفوا البيان العربي وجعلوا أهم خاصية للشعر الحر هي الغموض، وهي صفة يعتبرها الدكتور عزالدين اسماعيل صفة إيجابية⁴⁴، لأن الغموض في نظره ليس نقيضا للبساطة.⁴⁵ ويذهب الأديب اللبناني جبرا إبراهيم جبرا إلى أبعد من ذلك حين يعتبر أن الرؤية التي يتبناها الشاعر المعاصر من الطبيعي أن تكون غامضة ولغزية إلى حد بعيد، ويضرب مثلا على ذلك بأدونيس⁴⁶ حيث يقول عنه في موضع آخر: " يندس بين الأدغال، بين الأغصان الملتفة ويغيب عنا في كثافات تمنع الرؤية، ولا يدلنا على استمرار وجوده فيها إلا صوت حركته، صوت الأغصان وهي تخشخش وتفج من حوله".⁴⁷ لذلك فإن أدونيس يعتبر من الشعراء المعاصرين الذين كان لهم دور كبير في جعل الغموض ظاهرة من ظواهر الشعر الحر، وفي ذلك يقول عوض محمد القرني: " يقول أحمد كمال زكي في كتابه " شعراء السعودية المعاصرون" ص:18: " لو أننا وقفنا عند ظاهرة واحدة من ظواهر الشعر الجديد وهي الغموض وقد أصله سعيد عقل وأدونيس أحد شيوخ المجددين لرأينا العجب العجاب"⁴⁸.

⁴⁴ - عز الدين إسماعيل - المرجع السابق - ص : 190

⁴⁵ - نفس المرجع - ص : 193

⁴⁶ - جبرا إبراهيم جبرا - النار والجوهر - ص : 79

⁴⁷ - نفس المرجع - ص : 78

⁴⁸ - الحداثة في ميزان الشريعة - ص : 254 - كتاب موجود ضمن موسوعة الرد على

المذاهب الفكرية المعاصرة

ويكاد الغموض يكون السمة الغالبة على جميع أشعار أدونيس حتى يبدو للقارئ وكأنه يستعمل الحروف العربية كي يبتكر لغة جديدة تعتمد على حشد الرموز والطلاسم، يقول في إحدى قصائده:

ثاء / ثوب القصة يتلون هو الأحمر، بالأسود والأخضر، يتفتت منه عطر
يوشوش الهلال الذي تتكئ عليه القصة حيث المكان سرير يتمدد فيه الزمن
هانئاً

صاد / صوت الماء في القصة مدور
ينتقل على ظهر هواء في غيمة من الدخان حيث يتصاعد المقيبل محمولا في
عربات تجرها أحلام اليقظة

ق / القطب شكل لضوء عمودي باطن لا يراه غير المرید
جيم راء / الجوزة الرحم تحبل لكن اللذة،
سريرك من أهوائي أيتها اللذة،
ورضاعك من ثديين لا أسميهما.⁴⁹

لنتأمل بعض العبارات الواردة في القصيدة:
ث / ثوب القصة يتلون هو الأحمر
يوشوش الهلال الذي تتكئ عليه القصة حيث المكان سرير يتمدد فيه الزمن
هانئاً

ق / القطب شكل لضوء عمودي باطن لا يراه غير المرید

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن كل قارئ لهذه الأسطر الشعرية: ما الموضوع الذي يهدف الشاعر إلى إيصاله إلى القارئ؟

⁴⁹ - أدونيس - ديوان مفرد بصيغة الجمع وقصائد أخرى - ص : 505

وهل في القصيدة كلها من الألفاظ والأساليب ما يعين القارئ على فهم

مراد الشاعر؟

أم أن هذا الأخير تعمد أن يلف قصيدته بالغموض؟

ولا يقف الأمر عند أدونيس عند هذا الحد، بل إنه يجمع بين الغموض

والفوضى في أغلب قصائده فيبعثر الكلمات هنا وهناك، فتصبح قصيدته

أشبه بالأغاز معقدة كما هو موجود في هذه القصيدة:

رقعة من دفتر أخبار

..."هكذا

عرفت الأنثى نفسها عرفت الذكر

يجتمعان بشهوة اللحم والعظم لإبداع الماء في بيئته

يندفع الماء يكون له

سمع يمتلئ بتعويجات الصوت

أظافر تهدي إلى مواضع الحك

رئة مروحة لحرارة القلب.⁵⁰

أما شاعر القضية الفلسطينية، كما يصفونه ، فهو أيضا يستهويه الغموض،

فيهيم على وجهه في عالم الألغاز والتعابير الغامضة ، حيث يقول إحدى

قصائده:

هي الشفتان حين تناديان الكوكب المالح

هي الغامض

هي الواضح

⁵⁰ - ديوان مفرد بصيغة الجمع وقصائد أخرى - ص : 219

سأقتلك المسدس جاهر ملك هو الملك

المسدس جاهز

بيروت شكل الشكل

هندسة الخراب

الأربعاء. السبت. بائعة . الخواتم

حاجز التفتيش. صياد . غنائم⁵¹

ويقول في قصيدة أخرى:

تفاحة في البحر، امرأة الدم المعجون بالأقواس

شطرنج الكلام

بقية الروح استغاثة للندى

قمر تحطم فوق مصطبة الظلام⁵²

أما أمل نقل فيجعل من الرمز وسيلة للتواصل مع القارئ كما في قصيدته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لكنه يظل داخل دوامة مغلقة يصعب الدخول إليها وإدراك خباياها ، يقول في قصيدة عنوانها " الأرض والجرح الذي لا ينفث":

الأرض مازالت، بأذنيها دم من قرطها المنزوع

قهقهة اللصوص تسوق هودجها وتتركها بلا زاد

تشد أصابع العطش المميت على الرمال

تضيع صرختها بحممة الخيول

⁵¹ - ديوان محمود درويش - ص : 15

⁵² - محمود درويش - المرجع السابق - ص : 18

الأرض ملقاة على الصحراء ظامئة

وتلقي الدلو مرات، وتخرجه بلا ماء.⁵³

يقول عوض محمد القرني معلقا على ظاهرة الغموض في الأدب العربي عامة وفي الشعر خاصة: إن أول ما يصطدم القارئ لأدب الحداثة هو تلحفه بعباءة الغموض، وتدثره بشعار التعقيم والضباب حتى إن القارئ يفقد الرؤية ولا يعلم أين هو متجه، وماذا يقرأ، أهو جد أم هزل، حق أم باطل؟⁵⁴ أما رائد الشعر الحر، بدر شاكر السياب فرغم محافظته على بعض خصائص اللغة العربية إلا أن انفتاحه على الأدب الإنجليزي جره إلى مستنقع الغموض، يقول في إحدى قصائده:

هذه الشمطاء

لها الويلات ثم عرفت أنها أحسست أن الحسن ينتصر

على زمن تحطم سور بابل منه العنقاء

رماد منه لا يذكيه بعث فهو يستعر

وتلك كأن في غمازيتها يفتح السحر⁵⁵

والغموض عند السياب يراد منه التعقيم وعدم الإفصاح عن أفكاره لسبب من الأسباب، وبعض هذه الأسباب يذكرها السياب في مقدمة ديوانه " أساطير، " حيث يقول : وهناك شيء من الغموض في بعض القصائد، ولكنني

⁵³ - أمل دنقل - الأعمال الكاملة - ص : 117

⁵⁴ - عوض محمد القرني - المرجع السابق - ص : 254

⁵⁵ - ديوان بدر شاكر السياب - ص : 359

لست شاعرا رمزيا، وكنت مدفوعا إلى أن أغشي بعض قصائدي بضباب خفيف وذلك لأنني كنت متكتما لا أريد أن يعرف الناس كل شيء عن حبي الذي كانت كل قصائد هذا الديوان صدى له " 56 .
يقول علي بن نايف الشحوذ :

"خمسون عاما يقرضون الشعر الحر الخالي من الوزن والقافية والمشحون بالغموض المذموم الذي يكتنف الفكرة سواء أكانت جزئية أم كلية، فإنك تقرأ ما يسمى بالقصيدة عندهم فلا تفهم معاني جملها ولا مضمون هيكلها بل هي عبارة عن كلمات عائمة رصفت رصفا غريبا متنافرا حتى صارت رطانات وطننات عابثة" 57 .

2 - ما الهدف من الغموض في شعر الحداثة ؟

إذا كان هدف الشاعر من خلال ما يكتبه هو التأثير على القارئ وتقريب المعنى إلى ذهنه، فيجتهد في إيراد الصور البلاغية، والأوصاف الدقيقة التي تزين قصيدته، فلماذا يلجأ الشعراء المعاصرون إلى الغموض؟ هل كانوا يريدون بذلك أن تظل أفكارهم غير معروفة فستروها بحجاب من الغموض، أم أن لهم أهدافا أكبر من المواضيع التي يكتبون عنها؟ يقول عوض محمد القرني موضحا هذه المسألة ومبيننا بعض أهداف الغموض في الشعر الحر: « معنى أهداف الغموض وغاياته كسر الإطار العام للغة العربية وتحويلها مع مرور الزمن والأيام، ومن خلال استبدال مفرداتها

⁵⁶ - إحسان عباس - بدر شاكر السياب , دراسة في حياته وشعره - ص : 121

⁵⁷ - موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة - ص : 258

وتراكيبها ومعانيها إلى لغة جديدة لا صلة لها باللغة العربية الفصحى المعروفة والمأثورة عن العرب⁵⁸.
ويتوسع في تأصيل هذه المسألة ليحدد أن للغموض أهدافا ثلاثة حيث يقول في ذلك:

"وتأكد استهداف الغموض من كثير من هؤلاء الشعراء في هذه القوالب المسماة شعرا وليس فيها من الشعر شيء إنما هو أمر مقصود ليحققوا به أهدافا ثلاثة:

- 1 - التنصل من مسؤولية الكلمة وتبعتها، حينما تلف بهذا الغموض الذي قد لا يدرك معناه بسهولة.
- 2 - إِماتة الشعر وسلب روحه وتأثيره وحرمان المسلمين من سلاح ماض من أفتك أسلحتهم ضد أعدائهم.
- 3 - وهو أخطر ، محاولة نبذ الشريعة والقيم والمعتقدات والقضاء على الأخلاق والسلوك باسم الجديد وتجاوز جميع ما هو قديم وقطع صلتها به⁵⁹.

⁵⁸ - الحداثة في ميزان الشريعة - ص : 254

⁵⁹ - عوض محمد القرني - نفس المرجع - ص : 246

المبحث الرابع - من الحكمة إلى العبث:

إن التزام الشعراء، القدامى منهم والمعاصرين بقواعد الشعر العمودي وضوابطه ولغته الرصينة، وكذا أساليبه البلاغية دون تكلف جعلهم ينظمون أروع القصائد التي كانت وماتزال موضع اهتمام الباحثين والمهتمين بمجال الشعر لما تتضمنه من حكم بليغة وأساليب رائعة راقية وصور شعرية تعشقها الأذواق وتستسيغها الأسماع.

والنماذج التي سنوردها هي أزهار فواحة بالحكمة من رياض الشعر الفسيحة، فأليك بعض هذه النماذج:

يقول عنتر بن شداد:

سكت فغر أعدائي السكوت	وظنوني لأهلي قد نسيبت
وكيف أنام على سادات قوم	أنا في فضل نعمتهم ربيبت
وإذا دارت بهم خيل الأعادي	ونادوني أجبت متى دعيت
بسيف حـ د يزجي المنايا	ورمح صدره الحتف الميبت ⁶⁰

ويقول الشافعي :

ما في المقام لدي عقل وذو لهب	من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عن تفارقه	وانصب فإن لذيد العيش في النصب
إنني رأيت وقوف الماء يفسده	إن ساح طاب، وإن لم يجر لم يطب ⁶¹

⁶⁰ - من كتاب أحسن ما سمعت لأبي منصور الثعالبي : شرحها وعلق عليها محمد

إبراهيم سليم - ص : 60

⁶¹ - نفس المرجع - ص : 51

ويقول زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
ثمانين حولاً لا أبالك يسأم
ولكني عن علم ما في غد عم
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
يؤرس بأنياب ويطأ بمنسم⁶²

إن طبيعة الشعر العمودي تفرض على الشاعر أن يكون متمكناً من اللغة، بارعاً في استعمال الألفاظ المناسبة والتعبير الدقيقة التي تفي بالغرض المطلوب وتقرّب المعنى إلى الأذهان، ووجود تلك الصفات في الشاعر هي التي جعلته ينطق بالحكمة في أغلب قصائده، إلا أن افتقاد الشاعر المعاصر لتلك الخصائص وتخليه عن مجموعة من الضوابط التي يقتضيها الشعر، باعتباره أرقى الفنون، جعله يكتب بلغة غير لغة الشاعر العربي القديم، فتارة يستعمل لغة غامضة تقوم على حشد الرموز والأساطير وتارة أخرى يعتمد أساليب أقرب إلى لغة الحديث اليومي منها إلى لغة الشعر. وهذه بعض النماذج من الشعر الحر، وهي تدل على تدني لغة الشعر الحر يقول محمود درويش في قصيدة عنوانها " الحوار الأخير في باريس " :

على باب غرفته قال لي: أنهم يقتلون بلا سبب هل تحب النبيذ
الفرنسي

والمرأة الشاردة؟

تطلع حلف الجهات ، وحاول أن يفتح الباب

⁶² - ديوان زهير بن أبي سلمى - ص - 70

لكنه خلف أن يخرجوا من خزائنه

فرجعنا إلى المصعد.

الساعة الواحدة⁶³

ويقول في قصيدة أخرى :

رجل وامرأة يفتقران

ينقضان الورد عن قلبيهما ينكسران

يخرج الظل من الظل

يصير ثلاثة

رجل

وامرأة

والوقت⁶⁴

ويقول عبد الوهاب بالبياتي:

ليقولوا عنك : مت

ليبيعوك مكانا في السماء

آه ما جدوى البكاء

أنا خجلان محمد

فالضفادع

سرقت منا السعادة

⁶³ - محمود درويش - الأعمال الكاملة 2 - ص : 433

⁶⁴ - نفس المرجع - ص : 319 - 320

وأنا رغم العذاب

في طريق الشمس سائر⁶⁵

ويقول صلاح عبد الصبور:

أبحرت وحدي في عيون الناس والأفكار والمدن وتهت وحدي في

صحاري الوجد والظنون

غفوت

وحدي، مشرع القبضة مشدود البدن على أرائك السعف

طارق نصف الليل في فنادق المشردين

أو في حوانيت الجنون⁶⁶

ويقول أمل دنقل:

الناس هنا... في المدن الكبرى... ساعات

لا تتخلف

لا تتوقف

لا تصرف

آلات، آلات، آلات

كفى يا مريا

نحن نريد حديثا نرشف منه النسيان⁶⁷

⁶⁵ - ديوان عبد الوهاب البياتي - ص : 15

⁶⁶ - ديوان صلاح عبد الصبور - المجلد الثالث - دار العودة - بيروت - الطبعة الثانية

1977- ص : 449

في الشعر العمودي، تجد الشاعر ينظم قصيدته بأسلوب ممتع سلس، يثير اهتمام القارئ ويجعله يتذوق

سكت فغر أعدائي السكوت وظنوني لأهلي قد نسيت

وقد يكون الشاعر حكيمًا في نظمه يختار اللفظ المناسب والتعبير المناسب للمعنى المناسب كقول الشافعي:

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

وقد يجمع الشاعر بين أسلوب الحكمة و براعة النظم، وخير نموذج لذلك الأبيات الشعرية السالفة الذكر والمقتبسة من معلقة زهير لكن رواد الشعر الحر عجزوا عن جعل اللغة جسرا يوصلهم إلى قلب القارئ، فقد يكتب الشاعر قصيدة مطولة تتسع لديوان كامل إلا أنه لا يهتم فيها بالبراعة في النظم ولا الدقة في الوصف أو اختيار الكلمات المناسبة للمعنى الذي يريد إيصاله إلى القارئ، والنماذج التي تمت الإشارة إليها آنفا هي مقاطع من قصائد طويلة فقد فيها الشاعر موهبته الشعرية وبدد طاقاته اللغوي.

لقد صار شعر كثير من الشعراء المعاصرين عبارة عن ألفاظ متناثرة هنا وهناك، وعبارات لا تمت للشعر بصلة، وقد انتشرت هذه الحركة الجديدة داخل الأوساط الأدبية وانساق وراءها جيل جديد. ويعتبر أدونيس زعيم هذه الحركة الفوضوية ، يقول في إحدى قصائده :

دوري أيتها الطواجين دوري في كرسيك المهرج المحيط بالكون

نيج وطا

⁶⁷ - أمل دنقل - الأعمال الشعرية الكاملة - ص : 78

1

أقول ذلك لأن غباري يكاد أن يسبر الشمس ورأسي يكاد أن يتدلى

في

حبل

يتدلى⁶⁸

ويستمر أدونيس في الكتابة بهذه الطريقة الفوضوية، فيكتب قصائد بطريقة لم يسبقه إليها أحد.

أنا سؤالك

ولست أفتت جوابي

بشركك به وبطتك بنفسي

ي

ع

ل

أ د ن ي من

و⁶⁹

ويقول في قصيدة أخرى :

اخرج إلى الأرض أيها الطفل

خرج

هبط من الحروف

اح د = د ح ا الأرض

⁶⁸ - من ديوان مفرد بصيغة الجمع - ص : 250- 251

⁶⁹ - نفس المرجع - ص : 305

دائماً يضيع طريقاً لا تقود إلى مكان

ن

منفية بقوة الحضور

كالهواء

وهي هي

كل شيء يتغير وتبقى

ن = ن⁷⁰

والغريب في الأمر أن هذه الطريقة العبثية تجد لها من يدافع عنها باسم الحداثة والإبداع، كأنما الإبداع هو العبث والحداثة هي الفوضى والهديان، وفي ذلك يقول أنسي الحاج: "الحداثة هي أن أخطئ حقي عندما أكون على حق وأن أخذ حقي عندما أكون مخطئاً الحداثة هي أن أفضل شاعراً عربياً مغموراً مسكوناً بهواجس الجنون والرغبة والإباحية، ويعيش في مواخير باريس الفكرية والشعرية اسمه عبد القادر الجنابي على الشعر العربي كله. والحداثة هي ألا أكتب شعراً ولا أكتب شيئاً، والحداثة أن أخرج من اللغة وهي نحت العالم في ماء الرغبة"⁷¹.

إذا كان الشعراء الحداثيون يسترون الوجه القبيح للحداثة بلباس الإبداع الزائف فإن جرأة أنسي الحاج قد فضحتهم فتعرى وجه الحداثة واتضح جلياً مدى العداوة التي تكنها الحداثة للغة العربية، يقول الناقد المصري رجاء

⁷⁰ - نفس المرجع - ص : 210

⁷¹ - مجلة الأدب الإسلامي - تصدرها رابطة الأدب الإسلامي - العدد : الرابع - 1415هـ

-1994م - ص : 44

النقاش رّدا على التعريف الذي أورده أنسى الحاج بخصوص الحادثة :
« نرفض الحادثة عندما تكون خروجاً عن اللغة وخالية من الفكر».⁷²
ولا يقتصر الأمر على أدونيس وأنسى الحاج بل إن رواد الشعر الحر قد
وقعوا في فخ العبث وكتبوا قصائد مليئة الفوضى والهديان
يقول محمود درويش:

فسر ما يلي:

بيروت (بحر - حرب - حبر - برح)

البحر: أبيض أو رصاصي وفي أبريل أخضر

أزرق لكنه يحمر في كل الشهور إذا غضب⁷³

يقول رجاء النقاش معلقاً على الحالة التي آل إليها الشعر العربي من
الفوضى والعبث :

"إننا لم نسمع عن شيوع مثل هذه الموجة الأدبية المنحرفة المريضة
في الهند أو في تركيا أو في اليونان أو يوغوسلافيا أو عند الملايين
من أبناء هذا العصر في إفريقيا وآسيا وأوروبا الفقيرة فمن أين جاءوا
بهذه التقاليع العجيبة مادامت معظم المجتمعات الإنسانية في هذا
العصر ترفضها وتنكرها " ⁷⁴

ويبدو أن الشعراء المعاصرين لم يثوروا على نظام الشطرين ووحدة القافية
فقط بل تمردوا على جمال الصياغة في الشعر القديم وكذا على الصور

⁷² - مجلة الأدب الإسلامي - نفس العدد - ص : 44

⁷³ - ديوان محمود درويش - ص : 12

⁷⁴ - مجلو الأدب الإسلامي - نفس العدد - ص : 46

البلاغية التي يجد فيها جمال اللغة العربية، وفي هذا الصدد يقول علي مصطفى صبح :

"الشعر الحر يقوم على حشد الألفاظ بدون روابط وانسجام بين إيقاعاتها ومعانيها كما يتجافى مع طبيعة الشعر ومنطق العقل لأنه غريب عن الذوق العربي الأصيل، يحمل في طياته سمات الغرب وينزف بدم " إليوت " لا ببسمات الشرق ونشره الفواح"⁷⁵

إلى أن يقول :

فالشعر الحر ثرثرة وهذر وغيث لا روعة فيه ولا جمال ولا رواء ولا إكبار وإذا كان للشعراء ، من دور لا بد منه في التجديد فليتسابقوا وليتنافسوا إلى التجديد في المنهج والمضمون لا في اللغو والعبث

76"

⁷⁵ - نفس المرجع - ص : 46

⁷⁶ - نفس المرجع - ص : 46

خلاصة :

الخلاصة التي سيصل إليها القارئ بعد الاطلاع على النماذج السالفة الذكر هو أن رواد الشعر الحر يسيرون في اتجاهين متعاكسين: الاتجاه الأول يتزعمه أدونيس ومحمود درويش، وهذا الاتجاه يجنح إلى الغموض وإقحام الألفاظ بدون روابط لجعل اللغة العربية مجرد رموز وطلاسم.

أما الاتجاه الثاني: فيتزعمه نزار قباني وأمل دنقل وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وهؤلاء نزعوا عن القصيدة العربية خصائصها ومميزاتها الشعرية .

إن إقبال الشباب والمهتمين بمجال الشعر على دواوين الشعر الحر سيفقدتهم الإحساس بالجمال وعشق الكلمة المعبرة، وسيجعلهم عاجزين عن إنتاج أدب رفيع، بل الأخطر من ذلك أنهم سيجدون أنفسهم بعيدين عن فهم القرآن.

لقد كانت أول خاصية عرفها الشعر الحر في بدايته هي التمرد على خصائص الشعر العمودي والممثلة في نظام الشطرين ووحدة الوزن والقافية، وجزالة اللفظ ودقة الوصف ومتانة الأسلوب وتعدد الصور البلاغية والبيانية، وسرعان ما سيعتمد رواد الشعر الحر لغة غامضة ، ويوردون الرموز والأساطير المستمدة من الحضارات الغربية القديمة ويتوسعون في مفهوم الإبداع فيبتكرون أشكالاً جديدة للقصيدة المعاصرة، وقد حدد الدكتور الكتاني ملامح قصيدة الشعر الحر في العناصر التالية:

- 1 - اصطناع الفراغات ونقط الاستكفاء في سياق التعبير
- 2 - التضمين المفتعل للمقاطع النثرية والأمثال الشعبية
- 3- التطرف في الفضول والحشو
- 4 - الأخطاء العروضية
- 5 - التضمين للرمز الغامض⁷⁷
- 6 - الوع بالألفاظ الجنسية والألفاظ المستهجنة

وهذه الخصائص أزلت الستار عن حقائق كان يهدف إليها أصحاب الشعر الحر ومن يؤيد حركتهم هاته، وفي ذلك يقول أنور الجندي: " الشعر الحر إضافة إلى كونه تقليد للغرب يعتبر مؤامرة كبرى لهدم التراث ومظهرها للنكسة الفكرية التي أصابت بعض المثقفين إثر النكبة الفلسطينية، يستهدف محاربة الأصالة العربية والانحراف بالأدب العربي نحو العامية والإسفاف للقضاء على البيان القرآني في نفوس المتأدبين ليصبح غريبا عن أذواقهم"⁷⁸

مما يفيد أن اهتمام الشباب بدواوين الشعر الحر واعتمادهم عليه كمرجع في سائر الدراسات والأبحاث سيؤدي حتما إلى إفساد وتدني مستواهم اللغوي، لأن اللغة التي سيكتبون بها من خلال دراستهم للشعر الحر ستكون لغة مستهجنة ذات عبارات ركيكة وتعابير غامضة غريبة عن الفصاحة والبيان اللذين هما من سمات اللغة العربية وهذا سيجعلهم بعيدين عن

⁷⁷ - من كتاب الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث - ص : 1015

⁷⁸ - الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث - ص: 1032

فهم لغة القرآن والإحاطة بعلومهم، وسيقل اهتمامهم به، ولعل أكبر مظهر للضعف والانحلال في أي أمة هو عدم الاهتمام بلغتها. يقول الناقد المصري رجاء النقاش :

ولا جدال في أنه إذا أراد أحد أن يفسد حياة أمة وينشر الضعف والارتباك بين أفرادها فإن أفضل وسيلة إلى ذلك هي إفساد ذوق هذه الأمة وتشويه إحساسها بالجمال ، ونشر التفكك في ألفاظها ولغتها، فكل ذلك يؤدي في نهاية الأمر إلى تحويل أفراد الأمة إلى نباتات مخلوعة من الأرض غير قادرة على النمو والازدهار"⁷⁹ قال الرافعي :« ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة التي يستعمرها ، ويركبهم بها ويشعرهم عظمتها بها"⁸⁰

مقترحات :

إذا كان الرجوع إلى الشعر العربي القديم هو الذي خلص القصيدة العربية من الجمود والانحطاط في عصر النهضة ، فإن ما آلت إليه اللغة العربية في ظل الشعر الحر يقتضي بالضرورة الرجوع إلى الشعر العربي القديم ودراسته والنسج على منواله.

⁷⁹ - مجلة الأدب الإسلامي - نفس العدد - ص: 44

⁸⁰ - وحي القلم - (2 / 33)

وللوصول إلى تلك الغاية فإن هذه الدراسة تضع المقترحات التالية
كخطوات عملية :

- الاهتمام بدراسة الشعر الجاهلي وخاصة شعر المعلقات .
- ضرورة حفظ المعلقات ودراستها واستيعاب مضامينها وأساليبها.
- وضع معجم لغوي وشعري يحتوي على المصطلحات التي يتضمنها الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى عصر النهضة.
- تدريس الشعر العربي بقواعده المعروفة في المدارس الابتدائية وحث التلاميذ على النظم على منواله لتربيتهم على الذوق الجمالي.
- وضع الشعر، وخاصة شعر المعلقات، ضمن علوم الآلة التي ينبغي لطالب العلم أن يتعلمها.
- إصدار مجلات وجرائد تهتم بالشعر العربي.
- عقد ندوات ومؤتمرات على الصعيد الوطني والعربي للنهوض بالشعر العربي والمحافظة على أصوله وقواعده المعروفة.
- إنشاء منتديات ثقافية توجه اهتمام الشباب نحو الشعر.

إحياء
للتنمية الأخلاقية



Ihyae
Ethics Development



/IhyaeForum

جميع الحقوق محفوظة © 2019